

جواب سؤال

المستجدات السياسية على الساحة الليبية

السؤال: في ٤/١١/٢٠١٧م نشرت الشرق الأوسط: (اختتام اجتماعات القاهرة باتفاق على توحيد المؤسسة العسكرية الليبية)، وكان مسؤولون عسكريون ليبيا قد اجتمعوا في القاهرة بتاريخ ٣٠/١٠/٢٠١٧م تحت إعلان ترتيب هيكلية الجيش الليبي، علماً بأن غسان سلامة مبعوث الأمم المتحدة إلى ليبيا بدأ يقود مباحثات ليبية مع حكومة السراج ومجلس النواب في طبرق حول خارطة طريق أعدها للحل اعتباراً من ٢١/٩/٢٠١٧، ولكنها عُثِّقت قبل أن تكمل شهراً بسبب معضلة المادة الثامنة في اتفاق الصخيرات الذي وُقِّع في ١٧ كانون أول/ديسمبر ٢٠١٥، والسؤال هو: هل الشروع في اجتماعات عسكرية يعني أن الاجتماعات السياسية قد فشلت؟ وبعبارة أخرى هل المباحثات العسكرية هي لإيجاد حل عسكري للمادة الثامنة بعد فشل المباحثات السياسية؟ ثم ما الذي جدّ خلال هاتين السنتين بعد اتفاق الصخيرات حيث وقّع الطرفان عليه في حينه، والآن يختلفون؟! وشكراً.

الجواب: إنه لم يجدّ شيء فقد وقّع الطرفان على اتفاق الصخيرات وكانت بذور الخلاف موجودة ولكن التوقيع كان من كل طرف لغرض مختلف وبدوافع مختلفة، وحتى تتضح الصورة نستعرض الأمور التالية:

١/ في عهد القذافي كانت الطبقة السياسية الفاعلة هي الموالية لبريطانيا في حين إن النفوذ الأمريكي لم يكن ذا فاعلية في ذلك العهد، فلما انتهى عهد القذافي تسلّقت الطبقة السياسية القديمة من جديد لأن جذورها كانت موجودة فلم تُقتلع، ولذلك كان الغالب على السياسيين هو النفوذ البريطاني في حين إن السياسيين المواليين لأمريكا لم يكن لهم وجود فاعل... لهذا كانت أوروبا مهتمة بالانتخابات لإيجاد حكومة ومجلس نواب بأقصى سرعة ممكنة لأنها كانت تتوقع أن النتائج ستكون في صالحها بسبب تأثير الطبقة السياسية القديمة... وكانت أمريكا مهتمة بعرقلة أية انتخابات إلى أن تصنع طبقة سياسية جديدة تقف في وجه الطبقة السياسية الموالية لبريطانيا، وبعبارة أخرى فإن ما يهم أوروبا كان الإسراع في الحل السياسي، وأما أمريكا فقد كان يهمها تأخير الحلول إلى أن تصنع طبقة سياسية جديدة وليس أمامها خيار لصناعة هذه الطبقة إلا عن طريق العنجهية العسكرية كعادة أمريكا.

٢/ لقد أرسلت أمريكا الضابط الليبي (حفتر) للعمل في ليبيا خدمة لمصالحها، وسيرة حياته تنطق بولائه لأمريكا... فقد كان مأسوراً في تشاد هو ونحو ٣٠٠ من الجنود الليبيين في آذار ١٩٨٧، بعد ذلك قامت أمريكا بوساطة مع تشاد، وفاوضت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية عام ١٩٩٠ للإفراج عنه، وتولت طائرات أمريكية نقل حفتر ومجموعته إلى زائير ثم إلى أمريكا ومنحوه اللجوء السياسي في الولايات المتحدة، حيث انضم إلى حركة المعارضة الليبية في الخارج. وهكذا أمضى حفتر السنوات الـ ٢٠ التالية في ولاية فرجينيا الأمريكية، حيث تدرب على حرب العصابات من قبل وكالة المخابرات المركزية، ولم يعد إلى ليبيا، إلا بعد ثورة ١٧ شباط/فبراير، فقد أرسلته أمريكا إلى ليبيا ليحاول إنشاء قوة عسكرية ليكسب عن طريقها مناطق في ليبيا ويكوّن طبقة سياسية جديدة عن طريق (الانتصارات) العسكرية، وذلك بتزويده بالأسلحة والأموال

مباشرة عن طريقها، أو عن طريق عميلها السيسي في مصر... وكانت أمريكا تعطل أي حل سياسي في ليبيا بانتظار تمكُّن حفتر من إيجاد نفوذ فاعل، وكان يركز على الشرق لأن طرابلس كانت تزخر بالطبقة السياسية الموالية لأوروبا وبخاصة بريطانيا، وقد نجح إلى حد ما في تثبيت قوة في شرق ليبيا وهيمن على مجلس النواب في طبرق.

٣/ في سنة ٢٠١٥م كانت أوروبا مهتمة بأن لا تنتظر أكثر من تلك السنة لإيجاد الحل السياسي قبل أن يتغير واقع الطبقة السياسية، فبدلت أوروبا الوسع في التركيز على إرسال مبعوث موالٍ لأوروبا إلى ليبيا ليسرّع الخطأ، وقد نجحت في إرسال ليون... وبدأت بالترويج للحل السياسي واستطاعت أن توجد جوا ضاغطا في مجلس الأمن، وفي الوقت نفسه جوا محرّجا لأمريكا إذا رفضت الحل السياسي... ومن جهة أمريكا فقد نظرت للأمر من زاوية أخرى، فرأت أن الاعتراض على الحل السياسي بعد ذلك الترويج له ليس في صالحها، وفي الوقت نفسه جعلت خطتها الموافقة على اتفاق الصخيرات للهيمنة عليه بتعديله أو القضاء عليه... وهكذا كان، فقد كانت المادة الثامنة في الاتفاق تتعلق بالسيطرة على القوة العسكرية... وكان جماعة أوروبا يدركون أن حفتر عميل لأمريكا، وأنها تريده ليكون قائد الجيش، لذلك وضعوا هذه المادة التي تنص على أن الجيش يتبع لرئاسة الوزراء، حيث إن السراج موالٍ لهم... وأصبحت هذه المادة هي العقبة الكأداة التي رأت أمريكا فيها فرصة مناسبة لتعطيل الاتفاق إلى أن ينجح حفتر في أن يكون ذا قوة فاعلة في الجيش وعلى الأرض ومن ثم يوجد طبقة سياسية فاعلة تنازع الطبقة السياسية الأوروبية في طرابلس ونحوها...

٤/ هذا هو الواقع الحالي، وهو لم يتغير كثيراً عما كان عليه منذ اتفاق الصخيرات أواخر ٢٠١٥م فلم يجدّ جديد على أهداف الطرفين ودوافعهم السياسية والعسكرية... وقد سبق أن أصدرنا أجوبة أسئلة حول موضوع ليبيا منذ اتفاق الصخيرات، وقد وضحنا فيها هذا الأمر لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

- جاء في جواب سؤال ٣/٦/٢٠١٤م: (إن أمريكا تدرك أن الوسط السياسي في ليبيا هو صناعة بريطانية مع بعض التتواءات الفرنسية التي تقوي الوسط السياسي الموالي لبريطانيا في ليبيا، ما يعني أن أي انتخابات قادمة سيكون الصاعدون فيها رجال أوروبا مع نزر يسير من "المستقلين"، ومن ثم يستقر الوضع وتذهب أطماع أمريكا التي كانت تريد استغلال تأثيرها العسكري الفعلي في إنهاء حكم القذافي، استغلال ذلك في أن يكون نصيبها من النفوذ هو الأكثر والأوفر، وهذا لا يتأتى لها بإجراء الانتخابات في هذه الأجواء التي لا زالت أجواء أوروبية، فكان أن فكرت في خلط الأوراق عسكرياً وإعادة ترتيب الأجواء في ليبيا لإنشاء طبقة سياسية جديدة موالية لها ثم بعد ذلك إجراء الانتخابات. وكانت الخطوة الأولى أن تكلف رجلاً عسكرياً بالتحرك بما يشبه الانقلاب ضد الوضع القائم الذي يهيمن عليه المؤتمر الوطني حيث الغالبية فيه لرجال أوروبا... وذلك لخلط الأوراق وتأجيل الانتخابات إلى ظروف أفضل لأمريكا، فإن لم تكن خالصة، فتكون بالمشاركة مع أوروبا، فلا تخلو الساحة لها. وهكذا تحرك حفتر وسيرة حياته تنطق بولائه لأمريكا...).

- جاء في جواب سؤال ١١/٤/٢٠١٥م: (إن أوروبا تدرك هذا الأمر بأن أمريكا تعمل على إفشال المفاوضات، ولذلك فقد اختارت مبعوثاً موثوقاً لديها وهو برناردينو ليون، وهو مبعوث أوروبي في الأصل،... لقد بدأ برناردينو ليون يحث الخطأ حتى يتوصل إلى الحل السياسي وكان همه أن ينجز مهمته في مدة انتدابه الأولى التي كان مقرراً لها أن تنتهي في نهاية آذار ٢٠١٥، قبل أن تمدد له بموجب قرار مجلس الأمن رقم ٢٢١٣، حتى ١٥ أيلول/سبتمبر ٢٠١٥. وكان في عجلة من

أمره لينهيها في المدة الأولى، وقد بدأت "المفاوضات" في جنيف وانتقلت إلى ليبيا ومن ثم إلى المغرب والجزائر ومن ثم عادت لتعقد في المغرب. وفي جولة مفاوضات المغرب يوم الخميس ٢٠١٥/٣/١٢ طلب أعضاء برلمان طبرق تأجيل استئناف المشاورات السياسية بين الأطراف الليبية لأسبوع آخر أي إلى يوم الخميس ٢٠١٥/٣/١٩ من أجل مزيد من التشاور... وقد ركز ليون على أهمية الخروج بجل سياسي في أقرب وقت ممكن... وكذلك صدر في ٢٠١٥/٣/١٦ بيان مشترك عن الاتحاد الأوروبي يحذر من فشل المفاوضات جاء فيه: "إن الفشل في التوصل لاتفاق سياسي سيعرض وحدة ليبيا للخطر.. بمجرد التوصل لاتفاق على تشكيل حكومة وحدة وطنية وترتيبات أمنية ذات صلة سيكون الاتحاد الأوروبي على استعداد لتعزيز دعمه لليبيا" وكالة الأنباء الألمانية ٢٠١٥/٣/١٦ "...).

- وجاء في جواب سؤال ٢٠١٦/١/١٩م: (إن بريطانيا كانت تدرك أن الوسط السياسي أو معظمه إلى جانبها، لذلك كانت مطمئنة إلى أن أي حكومة مؤقتة وفق مقترحات ليون ستكون في جانبها، ولذلك هي كانت مهتمة في تعجيل اتفاق الصخيرات وإقراره في عهد ليون، فلما لم تستطع وجاء كويلر، وكانت التعديلات، أدركت بريطانيا أن هذه التعديلات كانت بضغط أمريكي على كويلر كخطوة من خطوات أمريكية أخرى لإفشال الاتفاق بشكل كامل إلى أن تصوغه أمريكا من جديد كما تريد، وذلك بعد صناعة طبقة سياسية جديدة نتيجة أعمال عسكرية يقوم بها حفتر بالتزامن مع مؤتمرات سياسية تديرها أمريكا، وعليه فقد رأت بريطانيا الاستعجال في عقد الاتفاق قبل أن تحدث أمور أخرى ليست في الحسبان، فالاتفاق حتى مع تعديلات "كويلر" يبقى مقبولاً لها، وهكذا استعجلت الأمور، فحرصت على عقد الاتفاق النهائي في الصخيرات بالمغرب يوم ٢٠١٥/١٢/١٧، وحتى تجعل ذلك مشروعاً ومقبولاً دولياً لجأت إلى مجلس الأمن، فقدمت مشروع القرار ٢٢٥٩ لتأييد مقررات الاتفاق النهائي... إن ما دعا بريطانيا للاستعجال هو التحركات الأمريكية لعرقلة الاتفاقات... وقد أشار إلى ذلك المستشار السابق لرئيس مجلس النواب الليبي عيسى عبد القيوم يوم ٢٠١٥/١٢/١٣ على شاشة الغد العربي عندما قال: (... إن تصريحات كيري وزير خارجية أمريكا أوضحت أن الأمريكيين ليس لديهم الحماس الكافي لحل الأزمة على عكس الإنجليز والفرنسيين الذين أبدوا حماساً لذلك...).

- وجاء في جواب سؤال ٢٠١٦/٣/١٢م: (أما السبب لهذه العرقلة "الأمريكية" فهو أن غالب الوسط السياسي في ليبيا هو من مخلفات القذافي أي أوروبي الولاء... وأي تشكيلة وزارية ستكون من هذا المقاس كما هو في الوزارة الجديدة، وأمريكا معتمدة على حفتر ونفر من العسكريين حوله... ولهذا فأمريكا تعرقل الحل السياسي أكبر قدر ممكن تستطيعه بالتدخل العسكري منها، ومن حفتر، ومن أتباعها، إلى أن تتمكن من ضمان حكم يكون لها نصيب الأسد فيه... وهذا على عكس أوروبا فهي تعمل على إنجاح الاتفاق وتشكيل الحكومة وإقرارها لأنها ما زالت تسيطر على الوسط السياسي ودلائل ذلك كثيرة، فقد قام وزير الخارجية البريطاني فيليب هاموند بزيارة الجزائر واجتمع مع وزير خارجيتها رمطان لعمامرة يوم ٢٠١٦/٢/١٩ وأكد هناك على أن "التدخل العسكري في ليبيا لا يمثل الحل الأنسب لتسوية الأزمة التي تشهدها البلاد ودعا إلى حل سياسي"، الخبر الجزائرية ٢٠١٦/٢/١٩).

٥/ ولذلك فإن الأمور كانت واضحة لكل ذي عينين منذ توقيع اتفاق الصخيرات في شهر ٢٠١٥/١٢م، بل حتى قبله، بأن أوروبا كانت تستعجل الحل لأن الطبقة السياسية الموجودة موالية لها، وأمريكا كانت تعرقل الحل إلى أن تتمكن

من السلطة العسكرية بواسطة أداها حفتر ومن ثم صناعة سلطة سياسية جديدة... ولهذا فقد كانت المفاوضات تراوح مكانها، تقترب أحياناً ثم تبتعد وهكذا دواليك، فبعد أقل من شهر على انطلاقها حدث انسحاب لوفد طبرق، ثم علقت... وكان سلامة يجتمع مع هذا وذاك، ويقترح اقتراحات من هنا وهناك، ويرر انسحابهم ورجوعهم من تونس إلى ليبيا للتشاور مع مراجعهم... ولعله يعلم أن اتفاق الطرفين على الحل النهائي يحتاج إلى موافقة القوى الدولية التي من ورائهما، وهذا لا يملكه غسان سلامة، وحتى الطرفان لا يملكانه إلا أن يتفق الذين من ورائهما، وهكذا تم الانسحاب والتعليق والرجوع من تونس إلى ليبيا بحجة التشاور مع مراجعهما:

- (قال مراسل الجزيرة إن وفد مجلس النواب الليبي انسحب من المفاوضات مع المجلس الأعلى للدولة دون الكشف عن أسباب ذلك، بعد جولتين من الحوار في تونس لتعديل اتفاق الصخيرات... إلا أن المراسل أفاد بأن الأسباب ربما تتعلق بصياغة المادة الثامنة التي تطرق إليها النقاش في جلسة صاحبة صباح اليوم نوقش فيها موضوع المجلس الرئاسي والحكومة. الجزيرة... ١٦/١٠/٢٠١٧)... و(قال مصدر للجزيرة إن اجتماعا يعقد بمقر بعثة الأمم المتحدة في تونس بين المبعوث الأممي إلى ليبيا غسان سلامة ورئيسي وفدي الحوار موسى فرج وعبد السلام نصية لتقييم ما حدث أمس الاثنين من تعليق للجلسات بين الوفدين... الجزيرة ١٧/١٠/٢٠١٧)... و(أفاد مراسل الجزيرة في تونس بأن البعثة الأممية في ليبيا سلّمت طرفي الحوار الليبيين ورقة تضمنت صياغة لنقاط الاتفاق والاختلاف بينهما لدراستها في اجتماعاتهما خلال اليوم وإبداء ملاحظتهما عليها، كل على حدة. الجزيرة ١٨/١٠/٢٠١٧)... (وخلال مؤتمر صحفي عقده سلامة في تونس السبت ٢١/١٠/٢٠١٧م، أشار إلى أن هناك مساحات من التفاهم والاتفاق بين وفدي مجلسي الدولة والنواب الليبيين المتحاورين في تونس، مما يستدعي عودتهما إلى ليبيا الأحد للتباحث مع القيادات السياسية هناك، لافتا إلى وجود نقاط اختلاف من بينها المادة الثامنة ستسعى البعثة الأممية لإزالتها. الجزيرة ٢٤/١٠/٢٠١٧م).

٦/ ولذلك كان حفتر يركز على العمل العسكري، ولم يكن ذلك سراً، بل كانت أعمال حفتر العسكرية وتصريحاته خلال مفاوضات المجلس الرئاسي وبرلمان طبرق برعاية غسان سلامة التي بدأت في ٢١/٩/٢٠١٧م، كان يركز على العمل العسكري، وكانت تصريحاته في هذه الأثناء تشكك في نجاعة المفاوضات، فقد نشرت الجزيرة في ١٤/١٠/٢٠١٧م: (شكك اللواء المتقاعد خليفة حفتر في إمكانية حل أزمة ليبيا وفق مسار التفاوض الذي ترعاه الأمم المتحدة... فقد قال حفتر في كلمة بالمؤتمر الأمني الأول بمدينة بنغازي إنه لا توجد مؤشرات تطمئن الشعب بأن الحوار الجاري هو الحل الوحيد للأزمة السياسية الراهنة. ولوح حفتر بدائل أخرى للحوار السياسي، من بينها الجيش والأجهزة الأمنية كافة، "التي ستمثل لرغبة الشعب"، وكان حفتر قد صرّح في منتصف آب/أغسطس ٢٠١٧م: "نحن مصممون على مواصلة الكفاح حتى يسيطر الجيش سيطرته على كامل التراب الليبي... " (الشرق الأوسط ١٥/٨/٢٠١٧م).

ولذلك فإن تركيز أمريكا على الحل العسكري ليقود الحل السياسي هو أمر في صلب أعمالها في ليبيا، فهي تعرقل الحل السياسي إلى أن يتمكن حفتر من زيادة رقعة سيطرته العسكرية ومن ثم يجري الحل بتأثير أمريكي أقوى من تأثير أوروبا، أي أن أمريكا تركز على الحل العسكري ليقود الحل السياسي، وتستغل كل فرصة مناسبة لهذا الأمر... ولذلك فعندما وجدت الفرصة مناسبة لعقد اجتماع عسكري في القاهرة لضمان التأثير الفعلي لحفتر في الجيش، فقد أمرت حفتر بذلك في

٢٠١٧/١٠/٣٠م فكان اجتماع الفصائل العسكرية الليبية في القاهرة، وهي كلها تؤيد حفتر أو لا تعارضه... ثم اختتم الاجتماع مساء ٢٠١٧/١١/٢م: (علمت الشرق الأوسط أن الجولة الثالثة من مفاوضات توحيد المؤسسة العسكرية الليبية التي عقدت في القاهرة بين ضباط ليبيا والتي اختتمت أعمالها مساء أول أمس، توصل إلى نقاط اتفاق شبه نهائي حول توحيد الجيش الليبي وعلاقته بالسلطة المدنية في ليبيا التي تعاني من فوضى عسكرية وأمنية منذ عام ٢٠١١م... الشرق الأوسط ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٧م)، وفي هذا دلالة على أن أمريكا وأدواتها، مصر وحفتر، قد أحرزوا تقدماً إلى حد ما حيث أصبح حفتر رقماً صعباً له سيطرة على جزء كبير من الأرض، وخاصة في الشرق والهلال النفطي في مقابل بعض التباطؤ في مكاسب أوروبا (بريطانيا وشيء من فرنسا وإيطاليا)، ومع ذلك فلا يعني هذا أن الصراع قد انتهى، فإن لأوروبا قواها أيضاً في ليبيا علاوة على أنها أكثر دهاء في الأعمال السياسية من أمريكا... وهكذا فالتوقع استمرار الصراع الدولي حول ليبيا بين أمريكا وأدواتها، وبين أوروبا وأدواتها... ويصطلي بنار هذا الصراع الليبيون...!

٧/ ومن الجدير ذكره أن قضايا المسلمين تحل بأيدي المسلمين وليس بأيدي أعدائهم، والحل سهل ميسور لمن يسره الله له، سلاحه الإخلاص لله في السر والعلن، والصدق مع رسول الله ﷺ في القول والفعل، وعندها سيرى المتفاوضون أنهم أمام بلد إسلامي عريق منذ الفتح الإسلامي على عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجميع أهله مسلمون، وحل قضاياهم في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ، دونما أية صلة مع الكفار المستعمرين، ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾.

وفي الختام فإننا نكرر ما سبق أن قلناه: إنه لمن المؤلم أن بلاد المسلمين التي كانت منطلق الفتوحات ونشر الإسلام الذي يحمل العدل والخير لربوع العالم... أصبحت هذه البلاد ميدان قتال يتسابق فيه الكفار المستعمرون على قتلنا ونهب ثرواتنا... يضحكون بملء أفواههم عند كل قطرة دم تسيل منا، ليس بأيديهم فحسب، بل كذلك بأيدي عملائهم من أبناء جلدتنا!

إن الكفار المستعمرين هم أعداؤنا فليس غريباً أن يبذلوا الوسع في قتلنا، أما أن يصطف معهم فرقاء لبييون، يوالي بعضهم أمريكا، وبعضهم يوالي أوروبا، ثم يقتتلون فيما بينهم، قتالاً ليس من أجل الإسلام وإعلاء كلمة الله، بل لمصالح الكفار المستعمرين... فإنها لإحدى الكبر، فاقتتل المسلمين فيما بينهم جريمة كبرى في الإسلام، قال الرسول ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»، أخرجته مسلم عن أبي هريرة، وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ». أخرجته النسائي عن عبد الله بن عمرو.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

١٧ صفر ١٤٣٩هـ

٢٠١٧/١١/٠٦م